مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

أوراق ثقافية

الهويّةُ الثقافيّةُ المحلّية شرطٌ للعالميّة
دول الخليج تقود المرحلة

جورج كعدي

نوفمبر – 2024

Photo Source: Wikipedia (2006)

ينبغي لأيّ ثقافة أن تبلغ العالميّة تلقائيّاً انطلاقاً من قوّتها الأصليّة (Authentic) غير المفتعلة، وغير الهاجسة بالعالميّة هدفاً بذاته، وتأتي العالمية إلينا من تلقائها إنْ أرسلنا إليها الأصليّ والأصيل والحقيقي الذي يعكس فرادة ثقافتنا بين الأمم وخصائصها الجوهريّة المحلّية. لا نعطي العالم ما عنده، بل ما عندنا مما نملك فكراً وتراثاً وأدباً وفنّاً وعمارةً، وكلّ ما يميّزنا عن ثقافات الآخرين على اختلافها وتنوّعها، وبثقافتنا العربيّة نستطيع الوصول إلى صورة عالمية مشرقة

ثقافات الآخرين على اختلافها وتنوّعها وبثقافتنا العربيّة نستطيع الوصول إلى صورة عالمية مشرقة.

Photo Source: aawsat (2024)

إنّ الإرث الثقافيّ الخليجيّ في ميادين متعدّدة، غنيّ وفريد جداً، ولدينا اليوم جيل شاب متنوّر ومثقف في سائر دول الخليج، يمتلك مقوّمات النهضة والحداثة والتكنولوجيا، فضلاً عن الإمكانات المادية التي توفّر له الراحة والتفرّغ العلميّ والدراسيّ، وتوالت أجيال مثقفة ومتعلّمة منذ الستينيات والسبعينيات والثمانينيات وأعطت الأمة العربية والإسلامية الكثير.

كان الجوّ الإقليميّ يصبّ في مصلحة الأمة العربية، وكانت الروح القومية سائدة. كان زمناً زاخراً بالثقافة والفكر، ويمكن أن نلحظ اليوم أن دول الخليج ورثت بفضل الاستقرار الذي تنعم به دور المركز في الثقافة العربية بدلاً من العواصم التقليدية

كالقاهرة وبغداد وبيروت ودمشق حيث لا تزال الحركة الثقافية نشطة بحدود معينة، إنّما تعوّقها الأزمات الاقتصادية والقلاقل السياسية والحروب في بعض الأحيان.

وتزدهر اليوم في دول الخليج العربي الفعاليات الثقافية والمهرجانات الفنية ومعارض الكتب ومراكز الأبحاث والنشر والترجمات، وتُنشئ المتاحف والمكتبات العامة، إلى ما هنالك من إنجازات فكرية وثقافية وتراثية خاصة بكلّ بلد خليجيّ يؤدّي دوره في إغناء الثقافة العربية من المحيط إلى الخليج، ويلقى عالمياً أصداءً لناحيتي المتابعة والاهتمام.

Photo Source: Instagram (2023)

والمطلوب هو أكثر من ذلك على الدوام، ويبقى التحدّي المستمرّ بين الأصالة والمعاصرة اللتين ليستا على طرفي نقيض لو أُحسن فهمهما وجمعهما، إذ يمكن الإفادة من التجارب العالمية المعاصرة في الاستثمار الثقافي والانفتاح على العالم، والمسألة ليست بالامتناع عن ثقافات العالم، التي لا مفرّ من التفاعل معها، بل بإعداد الطرائق الملائمة للتعامل مع تلك الثقافات وأخذ ما يصلح منها، ولا يتأتّى ذلك إلّا من خلال مراعاة قيمنا الاجتماعية والإنسانية والدينية الخاصة، إذ يُخشى من الانسلاخ التدريجيّ عن الهوية الثقافية الوطنية لمصلحة الثقافة الوافدة التي تهدّد الانتماء ومعرفة الذات، ما يُفضي إلى خلل معرفيّ على مستوى الهوية الوطنية، وهنا تبرز أيضاً أهمية حماية اللغة العربية كأولوية مطلقة

> تزدهر اليوم في دول الخليج العربي الفعاليات الثقافية والمهرجانات الفنية ومعارض الكتب ومراكز الأبحاث والنشر والترجمات

مسألةٌ أخرى شديدة الأهميّة تتعلّق بدور المال في تلويث الأصالة التي تحدثنا عنها شرطاً للعالمية والثقافة المستدامة، فالمال سيف ذو حدّين، لو أُحسن توظيفه يكون مفيداً ومسهِّلاً، ولو طغى لأوقعنا في العقلية المادية وتقليد ثقافة الغرب، وثمة مثلاً - من غير أن نحدّد - مشاريع تنشأ

لا لزوم لها يستفيد منها الغرب الرأسمالي أو الرأسمال الغربي، فالقدرات المالية لا تصنع وحدها ريادةً ثقافية، بل يجب ألا تكون الثقافة فعل تباهٍ بالقدرات والإمكانات المالية التي تتمتع بها الدول، بل أن تكون فعلاً حضاريّاً نابعاً من روح الأمة وعمق تاريخها الإنسانيّ والفكريّ والتراثيّ كي تنال الاهتمام والتقدير العالميين، ولعلّنا لا نحتاج إلى "الأكبر" في كل شيء: أكبر متحف، أكبر مكتبة، أكبر مركز أبحاث، أكبر معرض كتاب، وإنّما نحتاج باستمرار إلى المبدع والخاص والمميّز والأصيل كي نتباهى به ونحسبه إنجازاً نفاخر به العالم.

حذار الاغتراب في الهوية والاستهلاك الثقافيّ كمّاً لا نوعاً، أستشهد في هذا السياق بكلام للدكتور عبد الله الجسمي الذي يقول: "إن الحركة الثقافية العربيّة برموزها وقضاياها وطروحاتها كانت واحدة من المحيط إلى الخليج، وقد أسهم المثقفون والأدباء الخليجيون على نحو فاعل في الحركة الثقافية والأدبية ودعم القضايا الوطنية والقومية على مستوى الوطن العربي برمّته".

إنّها البوصلة الحقيقية لما ينبغي أن تكون عليه الثقافة الخليجية لتبقى رائدةً في المجال الثقافيّ، وبخاصة في مجال النشر والترجمة الذي تجلّت فيه دولة الكويت عبر مجلّاتها المتعددة، وسلسلة "عالم المعرفة" التي جعلت الكتاب المترجم أو المؤلَّف في متناول الجميع، مدركةً أن الكتاب

يجب ألا تكون الثقافة فعل تباهٍ بالقدرات والإمكانات المالية التي تتمتع بها الدول، بل تكون فعلاً حضاريّاً نابعاً من روح الأمة وعمق تاريخها الإنسانيّ والفكريّ والتراثيّ، ولا نحتاج إلى "الأكبر" في كل شيء: أكبر متحف، أكبر مكتبة، أكبر مركز أبحاث، أكبر معرض كتاب، وإنّما نحتاج إلى المبدع والمميّز والأصيل كي نتباهى به ونحسبه إنجازاً نفاخر به العالم.

Photo Source: jimcdn

Photo Source: facebook (2024)

يجب أن يتوافر لكلّ الفئات الاجتماعية، لا للطبقة الميسورة فحسب، وها هو مشروع "كلمة" الإماراتيّ يكمل الرسالة بعدد إصداراته التي تجاوزت الثلاثة آلاف حتى اليوم، فضلاً عن دولة البحرين التي قدّمت ولا تزال إسهاماً كبيراً في حركة الترجمة ونقل المعرفة، وفي الصدارة أيضاً المملكة العربية السعودية مع منشورات "دارة الملك عبد العزيز" ومكتبة الملك عبد العزيز بالحرس الوطني، وعديد من دور النشر الجامعية، ودور النشر السعودية الخاصة، ومراكز الأبحاث والنشر الجامعية وغير الربحية، ومن ذلك مركز الخليج للأبحاث الذي فاقت منشوراته الـ500 منشور باللغتين العربية والإنجليزية، وجميعها مساهمات عملاقة في ميدان النشر يؤمل أن تستمرّ وتشهد مزيداً من الازدهار وتنوّع المجالات والعناوين، وأن تخضع لمزيد من التدقيق والمراجعة مضموناً ولغةً، والحضارة العربية عريقة في نقل الفكر والتراث العالميين

ويستطيع الخليج العربيّ طرح خطة أفضل من خطة منظمة اليونسكو التي تحمل اسم "أرابيا" بغية زيادة المعرفة بالثقافة العربية في سائر أنحاء العالم، فالنموذج الذي تطرحه دول الخليج يمكن أن يكون مثيراً

> سلسلة "عالم المعرفة" التي جعلت الكتاب المترجم أو المؤلَّف في متناول الجميع، مدركةً أن الكتاب يجب أن يتوافر لكلّ الفئات الاجتماعية

دارة الملك عبدالعزيز
KING ABDULAZIZ FOUNDATION
FOR RESEARCH AND ARCHIVES

Photo Source: wikipedia (2024)

للإعجاب بقدرته على أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين التقاليد والحداثة، ويمكن لدولنا الخليجيّة وضع خطة أكثر حداثة تراعي التطور في نظم التواصل الحديثة ما بعد الإنترنت والتكنولوجيات الحديثة من أجل أن تعزّز التعاون مثلاً بين المكتبات العربية والعالمية، أو الترويج عبر "السوشل ميديا" للمصنّفات السمعيّة والبصريّة، وتستطيع الحداثة أن تكون في خدمة الأصالة، لا العكس، فالأصالة والهوية شرطان لازمان في كلّ الحالات

ومن المفيد الاطّلاع على وقائع وأنشطة "مختبر الحوار الثقافي الخليجي" الذي عقد عام 2023 وجمع "مركز الخليج للأبحاث" فعالياته ومناقشاته وأوراق المشاركين ومداخلاتهم في وثيقة مهمة تحمل خلاصات محدّدة ومنهجية

> يستطيع الخليج العربيّ طرح خطة أفضل من خطة منظمة اليونسكو التي تحمل اسم "أرابيا" بغية زيادة المعرفة بالثقافة العربية في سائر أنحاء العالم

Photo Source: ajel.sa (2024)

لمحاور الأبحاث وموضوعاتها، ومن الأمثلة، مداخلة للدكتور جعفر حسن الذي أكّد ضرورة الجمع بين الأصالة والمعاصرة لحفظ الهوية الخاصة، فالمعاصرة تساعد المجتمعات على تجاوز التحديات، وتمنحها قدرة التنافس بين الأمم، مضيفاً: "نحن في الخليج عشنا لحظة نادرة في تاريخ البشرية وهي اكتشاف النفط الذي أعطى دول الخليج طاقة صعود سريعة قبل استعداد الشعوب لهذا الصعود، وما كان لهذه الشعوب إلّا أن تستعين بذوي الخبرات وهم الكفاءات الأوروبية، وكان ذلك بوابة ليكون النموذج الغربي حاضراً وبقوة في الكثير من مفاصل المجتمع الخليجي في توظيف اللغة الإنكليزية كلغة الاقتصاد، وكذلك لغة التخاطب بين الأم وأطفالها، وانعكس الوجود الأوروبي على العمران ونمط الحياة والمنهاج المدرسيّ، فأصبح الفرد الخليجي الشاب عالقاً بين نزعة المعاصرة ونزعة الأصالة، يحركه القلق من فقدان هويته في مقابل تمدّد المعاصرة، وقد أظهرت دراسة أنّ 74% من طلاب الابتدائية لا يجيدون اللغة العربية الصحيحة

ثمة إذاً إشكالية اللغة التي هي عنوان الأصالة وركيزتها الأولى، وتضاف إليها إشكاليات أخرى مثل إشكالية الهوية، فبحسب الدكتورة ابتهال الخطيب: "هناك مشكلة لدى الشباب العرب في الهوية على المستويين السطحي والعميق، فعلى المستوى السطحي يقع الشاب العربي فريسة الصراع بسبب الانفتاح اللا محدود على وسائل الاتصال الافتراضي الجاذبة، إضافةً إلى الصراع العميق المتمثّل في المواقف التاريخية التي ما زالت حاضرة ومؤثرة في خيارات الشاب العربي، كالقضية الفلسطينية، وقضايا الجندرية التي صُدّرت لمجتمعاتنا قسراً، وغيرها من أفكار تمنع الخصوصية للمجتمع العربي"

تكفي إشكاليات اللغة والهوية والأصالة والمعاصرة لفهم ماهية عوائق تعترض الانطلاقة السليمة للثقافة العربية نحو العالمية من غير اتكّاء على عناصر غريبة تُقلَّد ولا تنبع من عمق الثقافة العربية والإسلامية، فالمطلوب أولاً وأخراً الحفاظ على هويتنا وأصالتنا ولغتنا وتراثنا وقيمنا

من المفيد الاطّلاع على وقائع وأنشطة "مختبر الحوار الثقافي الخليجي" الذي عقد عام 2023 وجمع "مركز الخليج للأبحاث" فعالياته ومناقشاته وأوراق المشاركين ومداخلاتهم في وثيقة مهمة تحمل خلاصات محدّدة ومنهجية لمحاور الأبحاث وموضوعاتها

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium